دار الترجمـــــة

ونهضة مصر الثقافية

للأســـتاذ سيد قطب

قرأت مقال الأستاذ صاحب الرسالة عن « دار الترجمة » فى العدد الأسبق من الرسالة ، ذلك الذى يقول فيه :

« والغريب المخجل أن المرء يقرأ أى نابغة من نوابغ العالم فى أى لغة من لغات التمدن إلا فى اللغة العربية . فالتركى مثلاً يستطيع أن يقرأ فى لغته هوجو كله ، وشكسبير كله ، وجيته كله ، ولكن العربى لا يجد فى لغته لهؤلاء العباقرة العالميين إلا كتاباً أو كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ، ونشرهما على حسابه ! »

« فإذا أردنا يا معالى الوزير لأدبنا أن يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الأمس : نرفده بآداب الأمم الأوربية ، ونصله بتيار الأفكار الحديثة ؛ فإن لكل أمة مزايا ، ولكل بيئة خصائص . ولن يكون أدبنا عالياً ما لم يلقح بآداب العالم ؛ والمحاكاة والاحتذاء من أقوى العوامل أثراً فى الأدب »

قرأته فإذا هو « يشخص » موقف المكتبة العربية الراهن من الثقافة العالمية تشخيصاً صادقاً صحيحاً . ولا يكتفى بهذا « التشخيص » بل يصف طريق العلاج ، ثم يتجاوزه إلى وصف الدواء فيقول :

« لذلك أرى — ورأيك الأعلى — أن تنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة ، يكون لها من جلالة القدر ونباهة الذكر ما للجامعتين ، فإنها على اليقين ستكون جامعة شعبية لا تقل عنهما فى الخطر والأثر ، أو قل : إنهما الميدانان المتقدمان وهى مركز التموين الذى يمدهما بالميرة والذخيرة والمدد . ثم يُختار لها مئتان من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى اللغات الأوربية الثلاث ، ينقلون الآداب الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً ، فلا يدعون علماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الأصلية .

« هذه الدار ستنقل إلى العربية كل يوم أربعمائة صفحة مصححة منقحة مهيأة للنشر ، قد تكون كتابين أو كتاباً أو جزءاً من كتاب على حسب النظام الذى يوضع لها . فإذا فرغت من ترجمة الموجود فرغت لترجمة المستجد ، فلا يكون بين ظهور الكتاب فى أوربا وظهوره فى مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع . أما نفقات الدار فلا تزيد على مائة ألف جنيه ، وقد تنقص إلى نصف ذلك إذا ساهم فيها الأمراء والأغنياء وجامعة الدول العربية » ...

***

لقد استطردت فى الاقتباس من كلمة الأستاذ ، لأنها واضحة دقيقة وافية ، تحيل ذلك الحلم الضخم عياناً منظوراً ، وتحول هذا المشروع الكبير حقيقة مستطاعة .

استطردت فى الاقتباس لهذا ، ولسبب آخر يعنينى !

فالواقع أننى استرحت لهذا التفاؤل الذى يشيع فى كلمة الأستاذ بعد أن بلا من مصر ما بلا فى هذه السنين الطوال . وبعض هذا البلاء كاد يردنى أنا الشاب إلى اليأس من كل رجاء ! ... إلى اليأس من تنفيذ أى اقتراح إنشائى يكلف المسئولين تغيير «الروتين» اليومى ، والإقدام على المشروعات الضخمة التى لا تسير على مثال سابق ، ولا تطرد على وتيرة معروفة . إن « السوابق » هى التى تحدد طريقة العمل واتجاهه فى الديوان !

وكثيراً ما ابتلع هذا « الروتين » البغيض شخصيات حية مجددة تملأ الدنيا ابتكاراً وتجديداً وهى خارج « القفص الذهبى » حتى إذا آوت إليه لفها الذولاب ، وابتلعها الجو العام ، وعادت « موظفين » . أى آلات تسير سيرة الآلات !

فإذا ظل الرجاء يداعب رجلاً مجرباً كالأستاذ الزيات ، فذلك شعاع مضىء يعشو إليه أمثالنا من الشبان . ومجيب أن ينبع الأمل من نفوس الشيوخ وأن يتسرب منها إلى نفوس الشبان ، فى هذا الزمان !

فى وقت من الأوقات كان فى وزارة المعارف مشروع مهيأ لترجمة « شكسبير » وكان مقرراً أن يسند إلى أديب كبير يوثق بحسن قيامه على هذا العمل الضخم . ثم ماذا ؟ ثم تغيرت

الظروف السياسية ، فطوى المشروع ، لأن الرجل الذى اختير له لا « ينسجم » مع القائمين بالحكم فى ذلك الأوان !

وفى وقت من الأوقات كان فى وزارة المعارف أديب كبير جم النشاط متعدد الجوانب ، وكان للترجمة مشروع يقرب من مشروع الأستاذ الزيات ، تقدم به كاتب السطور ، وقيل له : إن المشروع موضع النظر والتفكير ، ثم صب على الرجل سيل من أعمال « الروتين » فغرق وقته كله ، حتى تغيرت الأحوال .

وفى وقت من الأوقات كان على رأس وزارة المعارف وزير يشتغل بالتأليف وبالترجمة أيضاً . وكان المنظور أن يصنع شيئاً فى هذا المجال . ولكن عجلة « الروتين » « وتوزيع الدرجات » قد استغرقت وقته مع المقابلات والوساطات والرجاءات ... !

وفى كل وقت مثل ، وفى كل عهد نموذج . وأسباب التسويف كثيرة ، و « القفص الذهبى » لا يسمح بالتحليق والطيران !

* * *

لا أريد أن أثبط عزيمة أحد ، ولا أن أطفئ الآمال فى صدر أحد ؛ ولكنى أحب أن أسارح الأستاذ المتفائل : إننى قليل الرجاء فى الدواوين . وإذا أسعدنا القدر فى وقت من الأوقات بوزير يقدم على عمل إنشائى كهذا العمل الجليل ، فالتقلبات السياسية بالمرصاد . ولا بد للوزير الجديد أن يجدد ، وأن يبدل ؛ ولا بد أن يجد من كبار المسئولين موافقة إجماعية على التجديد والتبديل ، كالتى لقيها سلفه سواء بسواء !

أجل لا بد أن ندور فى هذه الحلقة المفرغة ما دام «الروتين» هو الروتين ؛ ما دامت « السوابق » هى التى تحدد الاتجاه ؛ ما دامت روح الابتكار محصورة فى هذه الحلقة المفرغة على توالى الأجيال .

لقد قضينا الآن أكثر من عشرين عاما منذ حصلنا على نوع من الاستقلال ، نغير ونبدل فى مناهج التعليم ، فلم يتعد التبديل والتغيير طول مدة الدراسة وقصرها توزيع المواد المقررة على السنوات الدراسية ، توزيع الوظفين على المناطق أو حشدهم فى الديوان ، توزيع الدرجات على أساس أقدمية التخرج أو أقدمية التعيين أو أقدمية الدرجة ... ! إلى آخر هذه الدورات التى لا تنتهى فى الحلقة المفرغة المضروبة !

لم نفكر فى تغيير النظام المدرسى كله ، ولا تجديد عقلية التعليم ، أو على الأقل تغيير طرق الدراسة . لم نفكر فى « النموذج الإنسانى » الذى نريد أن نصل إليه بالتلميذ ، لنستطيع رسم الوسائل والأدوات . بل لم نؤلف « مكتبة التلميذ » . فهل تريد يا سيدى أن نؤلف « مكتبة الأجيال » ؟ . ألا ما أحلى الآمال !

* * *

أما لئن استطاع وزير المعارف الحالى أن يقبر الماضى كله ، وأن يقتحم العقبات جميعاً ، وأن ينفذ اقتراح الأستاذ الزيات فليكونن أكبر ميدان فى العاصمة أصغر من أن يتسع لتمثاله الخالد . إنه يكون واضع أسس النهضة وضامن بقائها أجيالا طويلة .

إن النهضة الثقافية فى مصر مودعة بضعة رءوس كبيرة ، ولكنها فانية — مع الأسف — فلئن أودعت بطون الكتب ، ليكونن هذا طريقها للخلود ، ولتضمنن لصاحبها كذلك الخلود .

وعندئذ نستطيع أن نحرر برامجنا الدرسية من ثير اللغات الأجنبية فى سن مبكرة ، ومن مزاحمة هذه اللغات للغة القومية فى عهد التكوين . وهى مشكلة تواجه واضعى البرامج عندنا ، وتصطدم بقواعد علم النفس والتربية المقررة .

وعندئذ يصبح تعلم اللغات ضرورة لمن تستدعى الضرورات العملية فى الحياة أن يتعلموها ، وتصبح المكتبة العربية مصدر ثقافة عالية ككل المكتبات العالمية .

هذا أمل ، وأمل كبير . وما علينا أن نرجو فى تحقق الآمال ؟

سيد قطب

إدارة البلديات — مطافئ

تطرح بلدية أسيوط بالمزايدة العامة بيع وابور بخارى وسيارتى رش وشاسيه سيارة نقل وأصناف أخرى مستهلكة وتقبل العطاءات بالبلدية المذكورة لغاية ظهر ٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٤٥. وتطلب الشروط منها مجاناً . ٣٤٥١